٣ ــ الدولة الفلسطينية الدائمة على جزء من أرض فلسطين.

وفيما يتعلق بالاتجاه الأول، يعرض الكتاب بالتفصيل لتصورين أساسيين، برزا في الفكر العربي، بخصوص الدولة الفلسطينية الواحدة على كامل التراب الفلسطيني. التصور الأول كان قبل العام ١٩٤٨، وتركز على المطالبة بدولة فلسطينية واحدة، ذات شخصية واحدة وسيادة واحدة، ولكن على أساس الاعتراف بوجود قوميتين متميزتين هما: القومية العربية «والقومية» اليهودية، وإعطاء كل قومية من القوميتين حقوقاً متساوية في إطار الدولة الواحدة. أما التصور الثاني، فهو ينادي بالدولة الفلسطينية الواحدة ذات الشخصية الدولية والسيادة الواحدة، ولكن على أساس الاعتراف بالمواطنين كأفراد لهم الحقوق نفسها وعليهم الواجبات ذاتها دون تمييز بينهم على أساس الدين أو العقيدة أو اللغة. وهذا التصور هو الذي طرحته الثورة الفلسطينية في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨، فيما عرف بالدولة الديمقراطية كاستراتيجية نضالية للعمل الفدائي الفلسطيني. ويؤكد الكتاب على أن شعار الدولة الديمقراطية، كان شعاراً فلسطينياً خالصاً، لأنه كان إفرازاً للكفاح الوطني الفلسطيني المسلح، فلم تشارك أية من الدول العربية رسمياً في طرح هذا الشعار.

أما فيما يتعلق بالاتجاه الثاني «الدولة المرحلية على جزء من أرض فلسطين»، فيعرض الكتاب لكيفية ظهور الفكرة في البداية بعيداً عن المقاومة الفلسطينية، ولكن لدى بعض القطاعات العربية المثقفة، كرد فعل لهزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وبعد أن يقدم الكتاب عرضاً للاقتراحات المختلفة التي قدمت في هذا الاطار، كاقتراح الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه في العام ١٩٦٥، واقتراح الكاتب المصري أحمد بهاء الدين في العام ١٩٦٧، وأيضاً ما أثير حول الموضوع بعد العام ١٩٧٣. ويعرض الكتاب لكيفية رفض المقاومة الفلسطينية للفكرة عندما طرحت، والمبررات التي قدمت لهذا الرفض، إلا ان الأمر تغير بعد حرب تشرين الأول (أكتوبر)، إذ بدأت معظم الدول العربية تطالب بالدولة الفلسطينية، وتسعى للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني. على الصعيد الفلسطيني، قرر المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشرة (حزيران [يونيو] ١٩٧٤) الاعتراف بالدولة الفلسطينية المرحلية من خلال إقامة السلطة الوطنية المستقلة والمقاتلة، وأكد برنامج العمل المرحلي، الذي صدر عن الدورة، على صفة المقاتلة، لاثبات أن هذه السلطة ليست إلا خطوة، من أجل الحصول على حق الشعب الفلسطيني التاريخي في وطنه كاملاً، دون تنازل بالاعتراف باسرائيل. ويعرض الكتاب، بالتفصيل لكافة الخلافات بين فصائل المقاومة حول القضية آنئذ، والتي تبلورت بين الاتجاه المؤيد الذي كانت تتزعمه فتح والصاعقة والجبهة الديمقراطية، وبين الاتجاه المعارض بزعامة الجبهة الشعبية، جبهة التحرير العربية، والجبهة الشعبية ــ القيادة العامة.

أما اتجاه الدولة الدائمة على جزء من فلسطين، فيعني القبول بتقسيم فلسطين وبالوجود الفعلي لدولة اسرائيل على جزء من فلسطين، فهو يتضمن إقامة دولة فلسطينية إلى جوار الدولة الاسرائيلية، في شكلها الراهن أو بتعديلات تحسمها عملية التفاوض. ويعرض الكتاب للتصورات العربية المختلفة إزاء القضية، ويركز بصفة خاصة على الموقف الفلسطيني، ويبرز كيف تبلور اتجاه فلسطيني نحو القبول بالدولة الفلسطينية، الأمر الذي ظهر واضحاً، في موقف المسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية وبصفة خاصة في فتح ومنظمات أخرى، بينما استمر الاتجاه المتشدد في أوساط المقاومة، رافضاً التسليم بمنطق التسوية السلمية ككل، وإفرازاتها على كافة المستويات، بما فيها الدولة المقترحة.

●● ويقدم الفصل الثاني من الكتاب تحليلاً شاملاً لمواقف القوى والقيادات الفكرية في اسرائيل إزاء قضية الدولة الفلسطينية. فيعرض، في البداية، لموقف أحزاب الائتلافين الحزبيين الكبيرين في اسرائيل (الليكود والمعراخ) من القضية، ثم يعرض لموقف بعض أحزاب وقوى الرفض في اسرائيل، ويركز بصفة خاصة على موقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح)، والمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن)، ومجموعة أوري افنيري. ويقدم الكتاب أيضاً عرضاً لمواقف الكتاب والمفكرين الاسرائيليين إزاء قضية الدولة، ويقدم نماذج للرافضين ونماذج للمؤيدين ومبررات كل